السيرة النبوية والحياة الإسلامية

ضرورة تغيير منهج التدوين وإعادة الصياغة

الدكتور عزا لدين بن زغيبة[1]

المقدمة

الحمد لله الذي يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، والحافظ لعباده المؤمنين من شر الوسواس الخناس، والصلاة والسلام على من أرسل للعالمين نبراسا، ما تعاقب الليل والنهار وما جرى قلم فوق قرطاس، وعلى آله وصحبه ذووا السبق بالخير في الناس، أما بعد:

فإن الاعتناء بسير الكبار والعباقرة والحكماء وغيرهم من ذوي الإنجازات العظيمة، هي من العادات التي دأبت عليها الأمم في حياتها، ولا توجد أمة على وجه الأرض تتخلف عن هذا الصنيع، لأنها ترى فيهم النموذج العملي الذي يصلح أن يكون مثالا يحتذي به الناس، نموذج حي يمثل فضائل الأخلاق، تكون كل كلمة تخرج من فم هذه الشخصية النموذجية ذات تأثير واسع تعدل تأليف آلاف الكتب، وكل إشارة تصدر عنها تضاهي الأوامـــر السلطانية العليا، وكل القيم الأخلاقية التي نراها في دنيانا اليوم هي بفضل مثل هذه الشخصيات المقدسة، وما عداها ليس سوى كلام تملؤ قراطيسه رفوف الخزائن والمكتبات.

إلا أن درجة الاهتمام بسيرهم تعود لطبيعة الشخص ومقدار الإنجازات التي قدمها لأمته وما جلب لها من النفع والصلاح بأعماله، فإذا كان هؤلاء كذلك فما بالك برجل حمل الخير للإنسانية جمعاء؟ وأخرجها من الظلمات إلى النور؟ ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة؟ لذلك كانت سيرته أكثر سير الرجال اعتناء على الإطلاق وتداولا على مر التاريخ، فانبرى لها المؤالف والمخالف والعالم والمتعلم فسطروا فيها مالا يحصى من الأسفار، وأفنى الرجال فيها زهرة الأعمار.

ولايستطيع أحد أن ينكر حاجة المسلمين وغير المسلمين بل العالم أجمع إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذه الحاجة أو الضرورة ليست دينية فحسب بل ضرورة علمية وأخلاقية وحضارية وأدبية. يمكننا القول باختصار إنها ضرورة دينية ودنيوية في آن واحد.

---

[1] – رئيس قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، مدير تحرير مجلة آفاق الثقافة والتراث – مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي – الإمارات العربية المتحدة

لأن سيرته صلى الله عليه وسلم تعد من المصادر الرئيسة في حياة المسلمين إلى جانب القرآن والسنة من حيث؛ التشريع، والسلوك، والتنظيم، والاجتماع وما يلحق به من توابعه، وقد كان الناس ولا يزالون يجتهدون في استلهام تفاصيل حياتهم اليومية من تلك السيرة العطرة، وسيستمرون في ذلك ما بقي على وجه البسيطة رجل يقول ربي الله.

ومن ثم كان الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو مجرد معرفة غزواته وسراياه وحفظها وترديدها على الناس واستنباط العبر منها، واستخراج فقهها فحسب، بل إن ذلك يقتضي معرفة شمائله وأحواله وأخلاقه وهديه وتفاصيل تعامله مع أهله ومع الناس، لأن ذلك هو حياة الناس اليومية، ومعرفته ضرورة ملحة لهم لضبط تعاونهم وتعاملهم وتصرفاتهم بضابط النبوة ومعيارها الحق، ومثل هذا المقصد فإن الجوانب العسكرية من سيرته تعد وضعا استثنائيا منه وليس هو بالأمر العادي الغالب على حياة الناس، وإن معرفة تلك الأحوال غير العسكرية وتفاصيلها لهي القائد لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق معنى الأسوة الحسنة التي جعلها الله الطريق لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى: (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**)، [2] لأن شمول سيرته صلى الله عليه وسلم لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، تجعل منها القدوة الصالحة لكل داعية وقائد وأب وزوج ومربي وصديق وسياسي وكل ذي ترتيب إداري في مرتبته، وغيرهم من الناس، وإنك لو فتشت في سير الأنبياء والرسل السابقين، ومؤسسي الديانات والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين لما وجدت مثل هذا الشمول ولا حتى قريبا منه.

لكن الغالبية العظمى من الباحثين الداعين إلى إعادة كتابة السيرة النوية والنظر في تدوينها الأول، وتناول نصوصها بالدرس والتحليل، إنما قصدوا الجانب الحديثي ونقد الأسانيد الناقلة لتلك النصوص وقد بذلوا في هذا الجانب جهدا عظيما يستحق كل تقدير[3] لكن الجانب الثاني والذي

---

[2] الأحزاب: 21.

[3] لقد مهد العلامة شبلي النهماني عند كلامه على فن السيرة بحديث مسهب عن أصول الرواية والدراية، وضرورة خضوع الروايات التاريخية لهذه الأصول، وخاصة إذا كانت متعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، أي بالسيرة النبوية ثم تعرض لمفهوم الرواية والدراية والفرق بينهما عند المحدثين وكتاب السيرة، معرضاً بتساهل المحدثين أنفسهم في رواية أحداث السيرة، وعدم مراعاة كتاب السيرة أصول صحة الروايات وقواعدها، وعدم اهتمام الكثيرين منهم بكتب الحديث وأسباب ذلك، حتى إنه وصف بعضهم بالتدليس من أمثال الواقدي!

انظر : الشبلي النعماني: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، 8، 10 – 42، 46.

وانظر نفس الكلام: مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، 46 – وانظر: محمد بن رزق بن طرهوني: صحيح السيرة النبوية المسماه بالسير الذهبية، 1/ 6، 7، 8.

نعنيه بهذا البحث، فلم يلق من تلك العناية إلا النزر اليسير وفي جزئيات متفرقة وليس في بناء متكامل يتضمن جميع أبواب السيرة النبوية المطهرة.

وسنحاول في هذا البحث دراسة هذه المسألة وسبر أغوارها واكتشاف الأسباب التي أدت إليها وفرضتها على نهج تدوين السيرة النبوية المطهرة، وهذه الفكرة ليست وليدة اليوم لدينا بل كانت تدور في خلدنا منذ زمن وقد أشرنا إليها في كلامنا في إحدى حلقات برنامج أفاق فكرية الذي كانت تبثه إذاعة القرآن الكريم بأبو ظبي دولة الإمارات العربية المتحدة، كما نبهنا إليه في إحدى افتتاحياتنا بمجلة آفاق الثقافة والتراث، وقد جاءت اليوم الفرصة المناسبة لتقديم هذه الفكرة في بحث مفصل وبين متخصصين يمتلكون القدرات العلمية والآليات اللازمة لتصويب أخطائنا، وردنا إلى جادة الطريق فيما شردنا فيه عنها، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أولا: المدونون الأوائل للسيرة النبوية وطغيان الجانب العسكري في أعمالهم.

لقد تصدى لتدوين السيرة الشريفة، وكتابة تفاصيلها، واستنباط معانيها، خلق كثير من العلماء على مر العصور، متحرين في ذلك أقصى درجات الضبط والأمانة في الرواية. والنقل، ولا يلتفت هنا إلى أولئك الذين خرجوا عن هذه المعايير في أعمالهم.

لكن المثير للانتباه، هو المنهج الذي سلكه المدونون الأوائل للسيرة النبوية الشريفة، وبخاصة في العهد المدني، حيث اختزلوا حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا العهد في الغزوات والسرايا فقط، مثل؛ محمد بن إسحاق بن يسار أبو عبد الله المدني (ت: 150هـ)[4]، حيث كان المتقدمون من علماء الأمة – رحمهم الله – جل اعتمادهم على مغازي ابن اسحاق، فلم يبعدوا في ذلك، فهو فارس الحلبة[5]وقد لقيت هذه السيرة شهرة كبيرة بين الناس وبخاصة مع تهذيب ابن هشام[6]،

---

[4] انظر ابن اسحاق: السيرة النبوية، 314 وما بعدها

[5] محمد بن رزق بن طرهوني: صحيح السيرة النبوية المسماه بالسير الذهبية، 7/1.

[6] ويرجع الباحثون السبب في اشتهار سيرة ابن اسحاق إلى جملة من العناصر هي:

– اتباعه أسلوب التسلسل الزمني في إيراد الأحداث، وقد استفاد في هذا من شيخه الزهري الذي صنف سيرنه على الحوليات والأبواب، وكان هذا التسلسل المنهجي مبتكرا في عصره.

– كان يجمع كل ما يصله من مرويات عن الواقعة الواحدة ويسوقها مساقا واحدا دون الالتزام الصارم بتمييز رواية كل شخص على حدة، وهو ما عابه عليه أهل الحديث، وبذلك جعل السيرة قصة واحدة متكاملة شاملة فأضحت قريبة إلى قلب المستمع، وأيسر للفهم والتلقين والحفظ.

– سعة علم ابن اسحاق ومكانته العلمية في عصره وفصاحته في الإيراد.

– أعطاها تهذيب ابن هشام بهاء وجلاء، وفتح للعلماء باب الاهتمام بها، فتناولوها بالدراسة والشرح والتعليقو ووصل رواياتها المنقطعة وغير ذلك.

انظر: مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، 35.

والواقدي: محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله المدني (ت: 207هـ)[7]، وابن هشام: محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: 218هـ)[8]، وابن سعد: يعقوب بن إبراهيم الزهري (ت: 208هـ)[9]، ومحمد بن جرير الطبري (ت: 311هـ)[10] وغيرهم، ولإن اختلفت أقوال علماء الجرح والتعديل في أحوالهم من حيث النقل والرواية، والضبط والأمانة، فإن كلمة العلماء لم تختلف حول إمامتهم في علم السير والمغازي، وقد أحصى الدكتور تقي الدين الندوي في بحثه الموسوم "**دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى**"[11] خمسة وثلاثين رجلا تكلموا أو كتبوا في المغازي والسيرة النبوية[12] من عهد التابعين وحتى وفاة الإمام الطبري (ت: 310هـ)، وهؤلاء هم أصحاب هذا السلوك في رواية السيرة النبوية وتدوينها، فقد ركز هؤلاء جهدهم وعملهم على الجانب العسكري تركيزا كبيرا، فإننا نجدهم يروون أخبار تلك الوقائع ويصفون أحداثها بتفاصيل دقيقة قد لا تغفل أي شاردة ولا واردة، وبخاصة في العهد المدني الذي وقعت فيه مجمل السرايا والغزوات، مع تقصير واضح في الجانب الاجتماعي والروحي والأخلاقي والإداري والسياسي في سيرته صلى الله عليه وسلم، ففي العهد المدني مثلا نجدهم يتكلمون عن سرية عبد الله بن جحش وغزوة الأبواء ثم

---

7 انظر الواقدي: كتاب المغازي.

8 انظر ابن هشام: السيرة النبوية

9 انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى

10 انظر الطبري: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك).

11 انظر كتاب المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية 3 / 369.

12 فبالإضافة إلى الخمسة الذين ذكروا داخل النص نجد؛ أبان بن عثمان بن عفان (ت: 105 هـ)، الشعبي: أبو عمرو عمر بن شرحبيل (ت: 103هـ)، عروة بن الزبير بن العوام (ت: 94 هـ)، وهب بن منبه (ت: 114 هـ)، عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري (ت: 120 هـ)، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري (ت: 124 هـ)، أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي (ت: 127 هـ)، يعقوب بن عتبة بن المغيرة المدني (ت: 128 هـ)، عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم المدني (ت: 130هـ)، يزيد بن رومان الأسدي المدني (ت: 130 هـ)، أبو سليمان داود بن الحسين الأموي (ت: 135 هـ)، أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي (ت: 143 هـ)، موسى بن عقبة بن أبي عياش أبو محمد الأسدي (ت: 141 هـ)، معمر بن راشد الأسدي (ت: 150هـ)، أبو محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز الحنيفي (ت: 162 هـ)، محمد بن صالح بن دينار (ت: 168 هـ)، أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي (ت: 170 هـ)، عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن المخرمي أبو محمد المدني (ت: 170 هـ)، عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت: 177 هـ)، علي بن مجاهد الكابلي (ت: 180 هـ)، زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي أبو محمد (ت: 183 هـ)، سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري (ت: 191 هـ)، يحيى بن سعيد بن أبات الأموي الكوفي (ت: 194 هـ)، أبو العباس الوليد بن مسلم الأموي الدمشقي (ت: 195 هـ)، يونس بن بكير الشيباني الكوفي (ت: 199 هـ)، أبو حذيفة اسحاق بن بشير بن محمد البخاري (تك 206 هـ)، عبد الرزاق بن همام الحميري (ت: 211 هـ)، محمد بن سعيد بن منيع البصري الحافظ (ت: 230 هـ)، أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي الكاتب (ت: 233 هـ)، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة البغدادي (ت: 299 هـ).

انظر: تقي الدين الندوي: دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى، كتاب المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، 3/ 380-396.

ينتقلون بعدها إلى غزوة بدر الحاسمة ومنها إلى غزوة أحد معرجين على غزوة السويق لينتقلوا بعد ذلك إلى غزوة الخندق (غزوة الأحزاب) متعرضين بينهما لبعض السرايا وغزوة ذات الرقاع، مع ذكر بعض الغزوات التي لم يقع فيها قتال، وسار الأمر على هذا المنوال في التدوين إلى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم، وهذه الوقائع العسكرية الثلاثة الكبرى، وما تخللها من سرايا وغزوات صغيرة وقعت في مدة قدرها ست سنوات، وللمرء أن يسأل نفسه كم من الوقت استغرقته هذه الأحداث من تلك السنوات الست، فسوف يجد أن ذلك لا يتجاوز زمنا قليلا من تلك المدة، وفي سلم هذا التفكير والمنهج المتبع من قبل المدونين الأوائل تدرج أغلب كتاب السيرة االنبوية الذين جاؤوا من بعدهم، فقد اعتمدوا عليهم اعتمادا كبيرا وبينا سواء كانوا مؤرخين أو أدباء أو غيرهم، قال الشبلي النعماني: (فكتب السيرة التي ألفت حتى القرن الثالث الهجري كانت تقتصر على الغزوات فقط، مثل سيرة ابن هشام وسيرة ابن العائذ والسيرة الأموية وغيرها)[13]، بل الأمر استمر بعد ذلك في كثير من تآليف السيرة النبوية.

و لم ينفك من هذا العقد إلا قليل من المتقدمين وثلة من المتأخرين وهم الذين اعتنوا بالتأليف في الشمائل[14]، ودلائل النبوة[15]، وفي هديه وآدابه صلى الله عليه وسلم، وهناك بعض الأعمال التي حاولت الجمع بين أحداث السيرة والشمائل ودلائل النبوة في تأليف واحد وذلك مثل ما فعل الإمام السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى.

وبناء عليه فلا يستغرب المرء عندما يجد ثلة من العلماء يجعلون معرفة أحوال مغازيه صلى الله عليه وسلم من باب ما يجب على المرء معرفته من سيرته صلى الله عليه وسلم، ولا يشيرون إلى هديه .بمثل ذلك، فهذا الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي يقول في مختصره في السير: هذا ذكر ما

---

13 شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 41 هامش.

14 كتب الشمائل: هي الكتب التي تتضمن ذكر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وعاداته وفضائله، وما كان يعمله في نهاره من الصباح إلى المساء، وما كان يعمله في ليله من المساء إلى الصباح، وهو موضوع ألف فيه علماء الإسلام منذ القديم، ومن أبرز ماكتب في هذا الفن: الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية: لأبي عيسى محمد بن أبي سورة الترمذي (ت: 279 ه)، أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه: للحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الإصبهاني، المعروف بأبي الشيخ، (ت: 369 ه)، جمع فيه جميع صفات الرسول صلى الله عليه وسلم في خلقه وأخلاقه وهديه وحاجاته وجل ما يتصل به، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544 ه)، كتاب شمائل النبي صلى الله عليه وسلم: أبو العباس جعفر بن محمد المعتز المستغفري (ت: 432 ه)، كتاب النور الساطع: ابن المقريء الغرناطي (ت: 552 ه) ، شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم: ابو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت: 774 ه)، سفر السعادة بالفارسية: لمجد الدين الفيروزأبادي (ت: 813 ه).

15 وهي الكتب التي تناولة معجزاته وعلامات صدقه ودلائل نبوته ومن أرزها:)، دلائل النبوة: محمد بن يوسف بن واقد الفريابي (ت: 212 ه)، دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني (ت: 430 ه)، دلائل النبوة: أبو العباس جعفر بن محمد المعتز المستغفري (ت: 432 ه)، دلائل النبوة: البيهقي (ت: 458 ه)، أعلام النبوة: أبو الحسن بن علي الماوردي (500 ه)، دلائل النبوة: أبو القاسم إسماعيل الإصفهاني (ت: 535ه).

يحق على المرء المسلم حفظه، ويجب على ذي الدين معرفته، من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومنشئه وشيعته، وذكر أحواله في مغازيه، ومعرفة أسماء ولده وعمومته وأزواجه، فإن للعارف بذلك رتبة تعلوا على رتبة من جهله[16] واختلف الناس بعد ذلك هل الوجوب المقصود شرعي أم عرفي، وقد حمله أبو العباس العزفي السبتي في الدر المنظم على الوجوب الشرعي وإليه أشار القرافي في الذخيرة، وظهره عبد الحي الكتاني في تراتيبه[17]

ثانيا: المقصد الإسلامي من السيرة النبوية.

هناك سؤال مهم ينبغي الإجابة عليه ألا وهو: هل أن معرفة هذه الأحداث والغزوات والوقائع والسرايا والمناوشات والمعاهدات وما يلحق بها من التفاصيل، كافية لإعطاء صورة كاملة متكاملة عن حياته صلى الله عليه وسلم؟

فالجواب المنطقي على هذا السؤال ومن غير تردد هو بالنفي، لأن من كانت سيرته من أكمل السير وأعلاها وأدقها وأجملها، وهي مؤسسة على نصوص قرآنية وأخبار نبوية، ووثائق تاريخية ودقائق في الخَلق والخُلُق، وتفاصيل في العادات والعبادات، والأخلاق والمعاملات، والقضاء والشهادات، والصلات والقربات، ووسياسة الأمم المختلفات ودمجها في أمة واحدة، لا يمكن أن يكون الجانب العسكري هو الطاغي عليها، لأن سعادة العبد في الدارين مبنية على معرفة هديه صلى الله عليه وسلم ومعرفة أحواله، وإدراك تصرفاته في جميع شؤونه في حضره وسفره، قال ابن القيم: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهديه صلى الله عليه وسلم، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد اتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم).[18]

---

[16] انظر عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، 17/1.

[17] انظر المصدر نفسه: 17/1.

[18] ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، 70/1.

وهناك أمر آخر مهم جدا وهو لو أننا تمسكنا بالجانب العسكري فقط في سيرته صلى الله عليه وسلم لم يكن لرسالته ما يميزها عن الرسائل السماوية الأخرى التي لم تكن شاملة، ولا مستوعبة لجميع المناحي الأخلاقية والاجتماعية، قال شاه ولي الله الدهلوي:

(إن النماذج المختلفة التي قدمتها البشرية في تاريخها المعلوم لم تكن شاملة، فكل نموذج من هذه النماذج كان يتجلى فيها جانب واحد أو أكثر من هذه الجوانب الأخلاقية، فمدرسة عيسى عليه السلام تعلمنا الحلم والصبر، والصفح والعفو، والقناعة والزهد والتواضع، ولكن فيما يتعلق بكيفية تسيير شئون الدولة، فالمسيحية لا تتحدث عنها،كما أنه لا مكان للعفو والتسامح في تعاليم سيدنا موسى وسيدنا نوح عليهما السلام.

لذلك كانت البشرية دوماً في حاجة إلى مرشدين، وظلت الإنسانية دوما في حاجة إلى شخصية كاملة جامعة تجمع كل صفات الكمال والأخلاق[19]، تمثل جميع الجوانب الأخلاقية والخصال الحميدة، تجمع بين السيف والسلطان من جهة، وبين الزهد في الدنيا من جهة أخرى، شخصية تحكـــم العالم، ولكن يبقى التواضع من شيمتها، تأمر فتطاع، وفي نفس الوقت يبقى لسانها

---

[19] – الخطاب في هذه العبارة موجه إلى أهل الكتاب، فهكذا صورت كتبهم التي بين أيديهم اليوم حال أنبيائهم. لذا وانطلاقا مما ذكر في تلك الكتب يؤكد المؤلف على ضرورة وجود شخصية كاملة جامعة لكل الجوانب ليقيم الحجة على أهل الكتاب. وإن كان ديننا يأمرنا أن نؤمن بجميع الأنبياء، وبصدقهم وكمال نبوتهم على حد سواء لقوله تعالى: "لانفرق بين أحد من رسله". ولكنه جل شأنه يقول في موضع آخر: "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس" (البقرة: 253). وهذا يعني أن هناك تفاوتاً جزئياً في الكمال بين الأنبياء، فلا بد من التوضيح لإزالة التناقض الظاهري بين هاتين الآيتين:

لاشك في أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم متساوون في كمال النبوة والأخلاق، ولكن هذه الأخلاق وهذه الكمالات لم تظهر عمليا في حياتهم دفعة واحدة، وإنما ظهرت حسب الحكمة الإلهية، وربما ظهرت بعضها في نبي من الأنبياء أكثر من غيره –أيضا لحكمة إلهية– ولم تظهر فيه أخلاقيات أخرى لأن الحكمة الإلهية لم تكن تقتضيها. نستنتج من هذا أن كل خلق نبوي بحاجة إلى المكان والزمان المناسبين ليظهر في نبي من الأنبياء. وإذا لم يظهر خلق ما في نبي ما فإن ذلك لايعني أنه لايتمتع بذلك الخلق أو تلك الخاصية. فعندما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم كلا من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بشأن أسرى بدر، رأي أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن تؤخذ منهم الفدية، ويخلى سبيلهم، بينما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتلهم، عندئذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر الصديق= = إن مثله مثل إبراهيم وعيسى عليهما السلام وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن مثله مثل نوح وموسى عليهما السلام، وذلك حين أظهر الفريق الأول العفو والمغفرة والفريق الثاني الشدة (انظر المستدرك للحاكم، غزوة بدر).

يشير هذا الحديث إلى الجوانب التي اختلف فيها الأنبياء عليهم السلام فيما بينهم حسب الظروف التي مـــروا بها. ولما كانت الرسالة المحمدية هي الرسالة الأخيرة والشاملة، كان لا بد من ظهور كل الأخلاق النبوية في حياته العملية بشكل تام كامل، ويكون كل شعاع من أشعة هدايته منارة يهتدي بها الناس جميعا، ويزيل نوره ظلام كل الدنيا.

يجب أن نتوخى الحذر –ونحن نبحث في هذا الأمر– من الوقوع في المحظور، والنيل من مقام الأنبياء عليهم السلام فنعرض إيماننا للخطر. (لمزيد من التفصيل انظر مجلة" المعارف" عدد محرم وصفر، الصادرة في الهند عام1356هـ، تحت عنوان"بشرية الخليل").

رطبا بذكر الله وتسبيحه، لا تملك شيئا ولكنها كالبحر في الغنى. هذه الشخصية الكاملة الجامعة هي صحيفة الله، وهي المعراج الأخير لهذا العالم).[20]

ثالثا: قصور فيما تم تدوينه من السيرة النبوية.

إننا إذا تأملنا فيما كتبه المدونين الأوائل للسيرة النبوية، ومن تبعهم من المؤرخين حول المغازي والسرايا وما يلحق بها، وما بثوه من تفاصيل دقيقة لتلك الأحداث وربما توغلوا في دقائق يصعب التثبت من صحتها، فإننا نجدهم وغالب المؤرخين لم يتحدثوا عن أسباب تلك السرايا والغزوات، إلا ما كان من ابن سعد في طبقاته – حيث أورد سبب كل سرية من هذه السرايا تقريباً، ولكن باختصار شديد، كأن يقول: بعث النبيصلى الله عليه وسلم السرية الفلانية لردع القبيلة الفلانية لأنها كانت تستعد للإغارة على المدين – وقد تبعهم معضم كتاب السيرة في ذلك، وهو ما أعطى الذريعة وأتاح الفرصة للمستشرقين والكتاب الغربيين[21] الخوض في تلك الأسباب والعلل وتفسيرها على

---

[20]– شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 36.

[21]–يمكن تقسيم المؤلفين الغربيين إلى ثلاثة أصناف، وهي:

1- الذين يجهلون اللغة العربية، وبالتالي لا يستطيعون الرجوع إلى المصادر العربية الأصلية، وينحصر مصدر معلوماتهم على ما ألف باللغات الغربية، وما ترجم من المصادر الأصلية، وهؤلاء يكملون معلوماتهم الناقصة بالقياس والأهواء. والأمر الذي يدعو إلى العجب أن بعض هؤلاء عرف بصواب رأيه، واعتداله فيما كتب، وإنصافه للإسلام، مثل "جبن" الذي كان يستخرج الذهب من أكوام الرماد، ولكن أمثال هؤلاء قليلون.

2- والصنف الثاني يضم أولئك الذين يعرفون اللغة العربية والأدب العربي، ولكن بضاعتهم قليلة في الثقافة الدينية، ولا سيما في علم السيرة. ورغم أن هؤلاء لم يفردوا كتاباً عن الدين الإسلامي أو السيرة فإنهم –وضمن كتاباتهم عن اللغة العربية وآدابها– كتبوا عن الإسلام وعن نبي الإسلام ما شاءوا وبكل جرأة. كمثال انظر إلى ساخو الكاتب الألماني الشهير الذي نشر طبقات ابن سعد. لا يستطيع أحد أن يجادل في سعة معلوماته وضلوعه في العربية، والمقدمة التي قدم بها كتاب الهند للبيروني قيّمة جداً، ولكنه وفي نفس المقدمة يقول عن الإسلام أموراً تجعلنا نشك فيه، أهو نفس الكاتب الذي أعجبنا قبل قليل؟! ونولدكه الألماني الذي تعمق في دراسة القرآن الكريم له مقال منشور في دائرة المعارف في المجلد السادس عشر يعتبر دليلاً واضحاً على تعصبه، ويكشف النقاب عن جهله بأمور كثيرة.

3- والصنف الثالث يضم أولئك المستشرقين الذين لهم قراءات موسعة عن الإسلام والأديان الأخرى، مثل بامر ومرجليوث. كنا نتوقع من هؤلاء الكثير لعلمهم الغزير، وضلوعهم في معرفة العربية ولدراساتهم المتفحصة، ولكن حالهم –وللأسف– حال من يقول: أرى كل شيء، ولكني لا أفكر في شيء. لقد قرأ مرجليوث مسند الإمام أحمد ذا المجلدات الستة الضخمة حرفاً حرفاً، وأنا متأكد من أنه ليس هناك مسلم في زماننا هذا يمكن أن يدعي أنه فعل ذلك، وعلى الرغم من كل هذا فإن الأستاذ المذكور ألف عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً ليس في الدنيا كتاب آخر يدانيه في الكذب والافتراء والتأويل الفاسد والتعصب السافر. وإن كان ثمة ما يميز هذا الكتاب فهو إن صاحبه استطاع –متأثراً بطبعه– أن يشوه فيه أبسط الحقائق والوقائع، والتي لا تحتمل أي تأويل، ويقدمها لنا في أقبح صورة ممكنة.

والدكتور سبرنجر الألماني المتبحر في العربية، وكان مديراً للمدرسة العالية في كلكتة لسنين طويلة، حين قدم لكنهو كتب تقريره الشهير عن المكتبة الملكية –وقد اطلعت على هذا التقرير بنفسي– وهو أول من قام بتصحيح كتاب الإصابة في أحوال الصحابة للحافظ ابن

حسب مرئياتهم ودوافعهم الشخصية وجعلوها في كثير من الأحيان منطلقا لمهاجمتهم الدين الإسلامي الحنيف والطعن فيه وفي نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي وصفوه —والعياذ بالله– بالهمجية، وأنه كان يحب إراقة الدماء.

وقد يكون الدافع الذي جعل المؤرخين المسلمين وكتاب السيرة المطهرة يبتعدون عن الخوض في الأسباب والعلل لتلك الغزوات هو تجنب أي تأثير لرأيه الخاص في مجريات الأحداث، فهو يرى ذلك من باب تحرى الصدق والعدل والأمانة في النقل والرواية.

يقول العلامة شبلي النعماني في هذا الشأن: كثيراً ما يغفل أصحاب السير علل الأحداث والوقائع وأسبابها، ولا يبحثون فيها. والطريقة الغربية في هذا الباب أكثر اعتدالاً، فالمؤرخ الغربي يبحث عن العلة في كل حدث، وقد يذهب في اجتهاده بعيداً، بحثاً عن أية احتمالات للوصول إلى النتائج المنطقية، وفي أكثر الأحيان يكون لمصلحته ورأيه الخاص أثر كبير في تفسير كثير من مجريات الأحداث، فيجعل ذاك الرأي الخاص محوراً ينسج حوله الأحداث. بخلاف المؤرخ المسلم الذي يتحرى الصدق والعدل والأمانة عند البحث في الأحداث، ولا يبالي بأثر ذلك على دينه وعقائده وتاريخه، فهدفه هو الوصول إلى الحقائق فقط، وفي سبيل ذلك يضحي بكل شيء، ويبالغ في هذا الجانب حتى إنه تجنب أي تأثير لرأيه الخاص على مجريات الأحداث، فهو لا يتعرض حتى للأسباب الظاهرية، ويكتفي بذكر الواقعة مجردة وأحياناً مبتسرة، فإذا تحدث عن بداية غزوة من الغزوات يقول: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية إلى القبيلة الفلانية في اليوم الفلاني، دون أن يذكر أسباب إرسال تلك السرية. الأمر الذي قد يوحي بأنه يكفي لغزو بلد وتدميره وقتل أهله أن يكونوا كفاراً، دون حاجة إلى أي مبرر آخر. ويتكئ أعداء الإسلام على مثل هذا الكلام لاتهام الإسلام بأنه انتشر بقوة السيف. مع أننا إذا تعمقنا في البحث عن أسباب تلك السرايا لعرفنا أن القبائل التي أرسلت إليها السرايا كانت تعد العدة لمهاجمة المسلمين.[22]

رابعا: أسباب القصور في تدوين السيرة النبوية.

يمكن حصر تلك الأسباب في سببين رئيسين هما:

حجر، ونشره في كلكتة. ولكنه أدهشنا وحيرنا بافتراءاته التي ملأ بها كتابه الضخم الذي ألفه في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة مجلدات

شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 118–119.

[22]– شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 89 – وانظر نفس المؤلف: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، (باللغة الأردية) ج1 ص364.

1 - لم تكن العرب قبل الإسلام تعرف كثيرا من الفنون والعلوم، ولم تكن تحفظ سوى أيامها وحروبها ومعاركها القبلية، وتخبلدها في معلقاتها وأشعارها وأهازيجها وأغانيها لدى الكبير والصغير والرجل والمرأة، فكان القياس يتطلب أن تنتشر روايات مغازي الرسول صلى الله عليه وسلمقبل أقواله وأفعاله والأحداث الأخرى، وأن يتأسس فن المغازي قبل غيره. ولكننا نلحظ تأخر روايات المغازي عن الروايات الأخرى، وذلك بسبب اهتمام الخلفاء الراشدون وكبار الصحابة بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله المتعلقة بالشريعة، وتلك التي تستنبط منها الأحكام الفقهية المتعلقة بالحلال والحرام، لأن المهم كان هو بناء الحياة الإسلامية على الأصول والقواعد الشرعية وتوحيد الأمة، وبالتالي لم يكن هناك مجال لاسترجاع تلك الذكريات التي قد تؤدي إلى إحياء تلك النعرات وغيرها، وبناء عليه لم يهتم أحد من الخلفاء وكبار الصحابة بالمغازي والسير حتى جاء عمر بن عبد العزيز الذي أولاها اهتماماً خاصاً، فأمر بتكوين حلقات علم خاصة بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، فأمر عاصم بن عمـــر بـــن قتادة الأنصاري المتوفى سنة 121هـ - وكان عالماً بالمغازي- أن يجلس في مسجد دمشق، ويحدث الناس بها وبمناقب الصحابة[23]، فصادف هذا الوضع السلطاني رغبة مكينة لدى عامة الناس في حب الاستماع لمرويات تلك المغازي والسرايا التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع المشركين من أجل نشر دعوة الإسلام، فتعلق الناس بأخبار تلك الأيام والأحداث من سيرته صلى الله عليه وسلم، وزاد تبعا لتلك الحاجة اهتمام الرواة بها، والتدقيق في تفاصيلها بشكل لم تستطع المرويات من الأخبار الصحيحة والحسنة مجاراتها، وطغى ذلك طغيانا كبيرا على تفاصيل حياته اليومية وتصرفاته الاجتماعية وتراتيبه الإدارية، وغدا ذلك واضحا في سلوك الروات والمدونين المهتمين بالسيرة النبوية المطهرة، ولم يمضي زمن طويل على هذا الوضع حتى قام الإمام الزهري بتأليف كتاب خاص عن المغازي، وكان هذا الكتاب هو الأول من نوعه، كما صرح بذلك الإمام السهيلي، قال الشبلي النعماني: ويغلب على الظن أن الإمام الزهري ألف كتاب المغازي بناء على طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز. ومن الملحوظ أن الإمام كانت له صلة بقصور السلاطين، بل كان من الخاصة، المقربين من الحكام الأمويين، فقد أوكل إليه هشام بن عبد الملك مهمة تعليم وتربية أبنائه.[24]

وبفضل مجالس عاصم بن عمـــر بـــن قتادة الأنصاري وغيره من الرواة، وتآليف الإمام الزهري وغيره من المدونين، شاع علم المغازي واشتهر بين الناس فكثر عليه الطلب ومن هذه السدرة

[23] - شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 52.

[24] - شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 52-53.

نسل علم موسى بن عقبة[25]، محمد بن إسحاق، والواقدي في المغازي والسير ومضى الناس على ذلك المنوال في تناول السير إلا القليل منهم.

2 – لقد كان مدونوا التاريخ في القديم وفي الأمم السابقة للإسلام يهتمون كثيرا في تدوينهم لتاريخ أممهم بالمعارك والأحداث الكبرى وتسجيلها بالتفصيل، وأما ما يتعلق بالأحداث الخاصة بنظم الدولة وتسيير أمورها وبالمدنية والاجتماع، فكانوا يعرضون عنها في هالب أعمالهم، وإذا تعرضوا لها مروا عليها مرور الكرام، قال الشبلي النعماني: و لم يكن ممكناً أن يبقى التاريخ بمنأى عن هذا التأثير، وقد ظهر بعض هذا التأثير في المغازي. وفقاً للطريقة القديمة لكتابة التاريخ كانت الفتوحات والمعارك والأحداث الكبرى تسجل بالتفصيل، وأما ما يتعلق بالأحداث الخاصة بنظم الدولة وتسيير أمورها وبالمدنية والاجتماع، فكان كتّاب التاريخ يعرضون عنها، وإذا ما تعرضوا لها اكتفوا بإشارات بسيطة لا ينتبه لها القارئ. ولما بدأ التأليف والتصنيف كانت هذه الطريقة هي السائدة، ومن أولى نتائج هذه الطريقة إطلاق اسم المغازي على السيرة النبوية، تماماً كما يُكتب تاريخ السلاطين تحت عنوان أخبار الحروب أو أخبار السلاطين كالشاهنامه. لذلك نجد الكتب الأولى التي ألفت في السيرة مثل سيرة موسى بن عقبة وسيرة ابن اسحاق تعرف باسم المغازي. وهذه الكتب رتبت الأحداث حسب تاريخ وقوعها تحت عناوين السنين، كأحداث السنة الأولى بعد الهجرة وأحداث السنة الثانية وهكذا، مثل الكتب التي تتحدث عن تاريخ السلاطين. لم يكن بين دفتي هذه الكتب سوى الحديث عن المعارك والحروب.

---

[25] – هو موسى بن عقبة بن عياش بن محمد الأسدي المتوفى سنة 141هـ، من موالي آل الزبير، أدرك من الصحابة عبدالله بن عمر، وكان تلميذ الزهري وعاش في المدينة، وكانت له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقة علم يمنح فيه إجازته العلمية، وكان جل اهتمامه ينصرف إلى مغازي الرسول والخلفاء الرشدين، وقد ألف كتابا في المغازي، وصار هذا الكتاب من أهم المراجع في هذا العلم، وكان أستاذ الإمام مالك في علم الحديث، فكان الإمام مالك يمدحه، وإذا سئل عن المغازي يقول: عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي

وتتميز مغازي بن عقبة بما يلي:

1- لم يكن كتّاب السيرة يلتزمون بالروايات الصحيحة، بينما كان موسى بن عقبة يلتزم بها.

2- كان كتاب السيرة فيما مضى يميلون إلى الإكثار من نقل الروايات والأحداث، فجمعوا كل رطب ويابس، ولكن موسى بن عقبة كان يحتاط كثيراً، ولا ينقل إلا الروايات التي ثبتت صحتها عنده، لذلك جاء كتابه مختصـــــراً قياسا بغيره من كتب المغازي.

3- وحيث أنه لم تكن تشترط سن معينة في الراوي، فقد كان بعضهم يسمع الأحاديث في سن مبكرة من حياته، ويرويها وهو كبير، الأمر الذي أدى إلى تغير روايات كثيرة وتبدلها، لأنه لم يكن ممكنا أن يفهم هؤلاء هذه الروايات وهم في تلك السن المبكرة، كما لم يكن ممكنا أن يحفظوها لسنوات طويلة. أما موسى بن عقبة فقد طلب هذا العلم وهو كبير بخلاف الآخرين. [25] وقد ظل الناس يتداولون كتاب موسى بن عقبة زمناً طويلاً، ولكنه اليوم مفقود، وقد أخذت عنه كل كتب السيرة القديمة.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، 148/1 – ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، 209/1 – ابن سعد: الطبقات الكبرى، 310/5 – شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 53-54.

إذا كانت هذه الطريقة في كتابة تاريخ السلاطين والدول ليست صحيحة، فإنها من باب أولى لا تناسب كتابة السيرة النبوية. لاشك أن المعارك والحروب جزء لا يتجزأ من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الأحوال الخاصة نراه في صورة مقاتل أو قائد عسكري، ولكن هذا لا يمثل إلا جانباً واحداً من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وليس كل الجوانب، فكل صغيرة وكبيرة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تتمثل فيها النزاهة والقدسية والحلم والكرم والعطف والرحمة والإيثار وما إلى ذلك. ولكننا قد ننخدع بتلك الصورة الجزئية، التي تصوره لنا قائداً عسكرياً كالاسكندر المقدوني الذي لاهم له إلا القتال، ولكننا حين نجيل البصر في حياته الشريفة نجده ملكاً في صورة إنسان.[26]!

إنه لا يختلف اثنان في أن المنهج الذي سلكه المدونون الأوائل في تدوين السيرة النبوية لم يكن كافيا في تمكين المسلمين من الصورة الدقيقة لسيرة رسولهم صلى الله عليه وسلم بل كان قصور هذا المنهج كبيرا في إظهار الوجه غير العسكري لسيرته صلى الله عليه وسلم وبخاصة في العهد المدني كما أشرنا من قبل، ولم نر حتى الآن عملا شاملا متكاملا ومفصلا ومنسقا ومرتبا ومتسلسلا في أحداثه ووقائعه يمكن من تخطي هذا القصور البين والفراغ الكبير.

وقد كان لهذا المنهج أثر كبير في بنية التفكير لدى المسلمين، الذين أصبحوا ينظرون للسيرة النبوية من زاوية المدونين الأوائل، وبمعزل عن السنة الشريفة، حيث غطت مظاهر القوة المعاني الإسلامية السامية في سيرته العطرة، مع العلم أن تلك المعاني كانت أوسع زمانا ومكانا وبشكل كبير عن مظاهر القوة في حياته صلى الله عليه وسلم، ولذلك نجد أن أغلب استدلالات أولئك الذين اختار طريق العنف طريقا للدعوة وتمكين الشريعة من سياسة الناس في حياتهم تستند إلى أحداث ووقائع من مدونات السيرة أو نصوص تتعلق بتلك الأحداث يجتثونها عن سياقها ويخرجونها عن مسارها وموقعها ليحققوا بذلك ما أرودوا، وقد يكون ما أرادوه هو مقصد الجميع في النهاية لكن سلوكهم الدي سلكوه ليصلوا إلى تلك الغاية ليس سلوكا مرعيا، ولا مقصد شرعيا، ولا هو المنهج الأمثل والطريق المبتغى الذي يقره المنقول والمعقول، والأثر والنظر، ولا هو المنهج الذي ترتاح إليه النفوس وتقبل عليه إقبال المقتنعين المتثبتين.

خامسا: أعمال جليلة في تدوين السيرة النبوية.

ولا يمكن هنا أن ننكر تلك الأعمال التي حاول أصحابها تقديم صورة دقيقة عن هديه وأخلاقه وعمله وتصرفاته في أهله وجواره، ومع صحابته وعشيرته وسياسة أمته في الحرب وفي السلم وفي

[26] – شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 95-96.

جميع مناحي الحياة، ونذكر هنا العملين الكبيرين اللذين قام بهما العالمان الجليلان ابن القيم الجزية المتوفى سنة 753 هـ، والعلامة شبلي النعماني وتلميذه محمد سليمان الندوي بالهند.

العمل الأول: ويتمثل في "**كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد**" الذي ألفه ابن القيم الجوزية، حيث يعد هذا العمل من أول وأقدم ما ألف في فقه السيرة النبوية المطهرة، إذ لم يكتف فيه المؤلف بسرد سيرته صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل حياته كما يفعل عامة المدونين، بل قام باستنطاقها وتتبع كثير من تفاصيل حياته صلى الله عليه وسلم، فاستنبط منها الأحكام، وذكر أقوال العلماء في مسائل فقهية كثيرة، كما تعرض فيها لدراسات حديثية قيمة لإثبات بعض الأحكام، ورد بعض الآراء، فلم يكن يترك مجالا للتعليق أو الاستنباط أو الإيضاح إلا استفاد منه، هذا إلى جانب فوائد علمية يقف عليها مطالع الكتاب، وكذا التحقيقات الدقيقة التي تدل على سعة علم ابن القيم وحفظه، فعد كتابه فريدا فيما صنف قبله وما بعده. [27]

العمل الثاني: ويتمثل في "**كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم** "الذي ألفه شبلي النعماني وأكمله تلميذه محمد سليمان الندوي بعد وفاته، والكتاب باللغة الأردية ولم يترجم منه إلى العربية إلا مقدمته الموسومة **بـــ: "مقدمة في فن السيرة"** وقد قام بترجمتها الدكتور ممد علي غوري وقد قام مركز جمعة الماجد بطباعتها.

وقد جاء الكتاب في خمسة أجزاء، فيه علم غزير، واستدراك كثير، وتحقيق وتدقيق للعديد من الوقائع والأحداث، وتأريخ للتشريع في عهده صلى الله عليه وسلم، إلى جانب فقه جم ومعاني سامية، وقد وصف مؤلفه مضمون أجزاء كتابه فقال:

قسمت هذا الكتاب على خمسة أجزاء، وهي:

1- الجزء الأول، ويتكون من بابين. الباب الأول يشتمل على نبذة مختصرة عن أوضاع العرب قبل الإسلام، وتاريخ الكعبة، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وحتى وفاته، وما جرى فيها من أحداث وغزوات. والباب الثاني يشتمل على عادات الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وعلى الحديث عن أولاده وأزواجه الطاهرات.

2- والجزء الثاني خاص بالنبوة ووظيفة الأنبياء، وهي تعليم الناس العقائد وتبليغهم الأوامر والنواهي، وتزكيتهم وتطهيرهم. لذلك خصصت هذا الجزء للنبوة ووظائف الأنبياء. وبالإضافة

[27] - انظر: تقي الدين الندوي: دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى، كتاب المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، 3 / 399-400.

إلى ما سبق يحتوي هذا الجزء على أركان الإسلام الخمسة، وكيف كانت بداية الأوامر والنواهي، وما أصابها من نسخ وتغير مع تغير الزمان والمكان، والمصالح المرجوة من ورائها والحكمة منها، ومقارنتها مع الأوامر والنواهي في الأديان الأخرى. واستعرضت في هذا الجزء أيضاً – وبالتفصيل- عقائد العرب وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم قبل الإسلام، وكيف أصبحت بعد الإسلام، والأصول والقواعد التي وضعها الإسلام لإصلاح البشرية وهدايتها، وأسباب صلاحها لكل زمان ومكان.

3- والجزء الثالث عن المراحل التي مرّ بها تدوين القرآن الكريم، ووجوه إعجازه، وحقائقه وأسراره.

4- والجزء الرابع فيه حديث عن المعجزات. فقد درجت كتب السيرة الأولى على تخصيص باب للمعجزات، والحاجة اليوم ماسة إلى الكتابة عنها بشكل مستقل، حيث إن الحديث عن المعجزات لم يعد قاصراً عليها، فقد جدت الحاجة إلى الحديث عن حقيقتها وإمكانية حدوثها. وأما المعجزات التي نعلم زمن وقوعها، مثل معجزة المعراج وتكثير الطعام، فقد تحدثت عنها في موضعها حسب تسلسل الأحداث.

5- والجزء الخامس عن المؤلفات الغربية، أي ما كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي في أوروبا، وعن مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم، وعن أسباب خطئهم في فهم الأحداث التاريخية، وعن قضايا الدين الإسلامي التي أخطأوا فيها، وعن الشبهات التي أثاروها حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوكه، والرد عليها. [28]

الخاتمة

وبناء عليه نرى إعادة كتابة السيرة النبوية بالمنهج اللائق بها، والذي يضمن بإذن الله تدارك هذا الفراغ الحاصل في منهج التدوين المذكور أعلاه، ويوفر لأمتنا مصدرا أكثر ضبطا، وأدق تفصيلا، وأوسع وصفا، وأفضل تنظيما، وترتيبا، حيث يتم فيه تتبع الجزئيات لإدراك الكليات، وهذا العمل العظيم لا يمكن تحقيقه بجهد فرد واحد، ولا حتى اثنين أو ثلاث بل لابد من تأسيس مؤسسة يلقى على عاتقها تحمل هذه المسؤولية وأداء هذه الرسالة في إنجاز هذا المشروع الضروري لحياة الأمة ومسيرتها، ولابد أن تستجمع لذلك أفضل طاقة الأمة في كل العلومة المرتبطة بتدوين السيرة النبوية

---

[28] – شبلي النعماني: مقدمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة علي غوري، 124-125.

الشريفة حتى ولو كان ارتباطهم بهذا الموضوع يسيرا، وإننا لنأمل أن تتحمل مؤسسة مبدع هذه المسؤولية التاريخية والحضارية، وهي بمديرها ورجالها نعتقد أنها أهل لذلك.

والله نسأل التوفيق والسداد لما فيه الخير والصواب لأمتنا

قائمة المصادر والمراجع

1 – ابن إسحاق: محمد بن يسار أبو عبد الله المدني (ت: 150 هـ).

- السيرة النبوية: حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط/1، 1424 هـ – 2004 م).

2 – تقي الدين الندوي.

- دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى، كتاب المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية الدوحة، محرم 1400 هـ، (الدوحة: وزارة الأوقاف، ط / 1، 1401 هـ – 1981 م).

3 – حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي (ت: 1067 هـ).

- كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1427، 1428هـ – 2007م).

4 – الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748 هـ)،

- تذكرة الحفاظ: (حيدر أباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ط/2، 1333،1334هـ – 1914،1915م).

5 – ابن سعد: محمد بن منيع الزهري (ت: 208 هـ).

- الطبقات الكبرى: دراسة وتحقيق محمد بن صامل السلمي، (الطائف: مكتبة الصديق، ط/1، 1412هـ – 1993م).

6 – السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911 هـ).

- الخصائص الكبرى: (حيدر أباد: دار مجلس دائرة المعارف النظامية، ط/1، 1319، 1320هـ – 1901 م).

- طبقات الحفاظ: تحقيق علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط/1، 1393هـ – 1973م).

7 – الشبلي النعماني.

- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، (لاهور: مصبعة ناشيونل بك فونديشن، ط/8، 1999 م).
- فن السيرة النبوية تاريخ وأصول، مقدمة العلامة الشبلي النعماني لكتابه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ترجمة ودراسة الدكتور محمد علي غوري، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط/1، 1432هـ – 2011 م).

8 – الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310 هـ).

- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط/2).

9 – عبد الحي الكتاني: محمد الإدريسي الحسني الفاسي.

- نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي (بيروت: دار الأرقم، ظ/1).

10 – ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت:

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ؛ حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، ط/1، 1986-1995م).

11 – ابن القيم الجوزية: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت: 751 هـ).

- زاد المعاد في هدي خير العباد: حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط/27، 1415هـ - 1994م).

12 – كارل بروكلمان.

- تاريخ الأدب العربي: نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، (القاهرة: دار المعارف، ط/2، 1968-1977م).

13 – محمد رزق بن طرهوني.

- صحيح السيرة النبوية؛ المسماه بالسيرة الذهبية: (القاهرة: دار ابن تمية للطباعة والنشر، ط/1، 1410 هـ – 1989 م).

14 – مصطفى السباعي.

- السيرة النبوية دروس وعبر: (بيروت: المكتب الإسلامي).

15 – مهدي رزق الله أحمد.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، (الرياض: مركز الملك فيصل، ظ/1، 1412 هـ – 1992م).

16 – الندوي: أبو الحسن علي الحسني.

- السيرة النبوية: (جده: دار الشروق، ط / 8، 1410 هـ – 1989 م).

17 – ابن هشام: محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: 218 **هـ).**

- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: حققه قسم التحقيق التابع للدار، (طنطا: مصر، دار الصحابة للتراث، ط/1، 1416 هـ – 1995 م).

18 – الواقدي: محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله المدني (ت: 207 **هـ).**

- كتاب المغازي: تحقيق مرسدين جونس، (بيروت: عالم الكتب، ط/3، 1404 هـ – 1984م).